



مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع



مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

أوراق ثقافية

كيف نصنع قارئاً؟

عبد الحليم البراك
كاتب وأديب



ثمة استراتيجية تعتمد عليها بعض الوزارات والمؤسسات غير الربحية لدعم الثقافة في الوطن العربي، وتعتمد على دعم الكتاب ونشره، وتبذل جهودها الكبيرة في عملية النشر باستمرار منقطع النظير من خلال عدد من الآليات منها: توفير الكتاب المجاني، ودعم الكاتب، وتفريغه، ودعم دور النشر، إلى غير ذلك؛ على أن من المؤكد أنها ليست الطريقة المثلى لنشر ثقافة القراءة في الوطن العربي، أو بعبارة أدق، ليس من أولويات نشر القراءة وثقافتها، بل ثمة أمور لها الأولوية في نشر ثقافة الكتاب ونشر القراءة وثقافتها بين الناس

وقد سبق وكتبت مقالا بجريدة مكة حول المقارنة بين صناعة قارئ وصناعة كاتب وأشارت إلى أن صناعة قارئ أهم من صناعة كاتب، فحين نصنع قارئاً سيتسابق الكتاب المحليون لإرضاء ذائقته بالشكل المناسب والجيد، وحين يصبح حجم الطلب أعلى من المعروض سيتسابق الكتاب لسد هذا الفراغ؛ على أن ما يحدث الآن هو العكس تماماً، فبالرغم من أن دعم الكاتب أكثر بريقاً لأنه يرضي القارئ، إلا أنه أقل فائدة بكثير من دعم القارئ، وبالتالي فنحن كمن يزيد المعرض بلا طلب يذكر، أو كمن يعمل على سد الفراغ دون أن يسحب أحد شيئاً من هذا المخزون، وعليه فالمعادلة ليست عادلة وليست فعالة ولا تخدم الثقافة

في نظري، يجب قلب المعادلة تماماً، بحيث يتم دعم برامج القراءة لخلق منافسة قوية وعادلة بين الكتاب، الذين سيهتمون بالقارئ النوعي واحتياجاته، ولعلي أضرب لذلك مثلاً بالمقارنة بين القصيدة الشعبية المحلية وبين قصيدة الفصحى، حيث اشتهرت الأولى وتطورت، وأخذت ألواناً بديعة، وحازت على تنافس كبير بين الشعراء، ليس لأن الشعراء الشعبيين قد تم دعمهم، بل لأن المتلقي (الجمهور = حجم الطلب) هو الذي دعم المنافسة



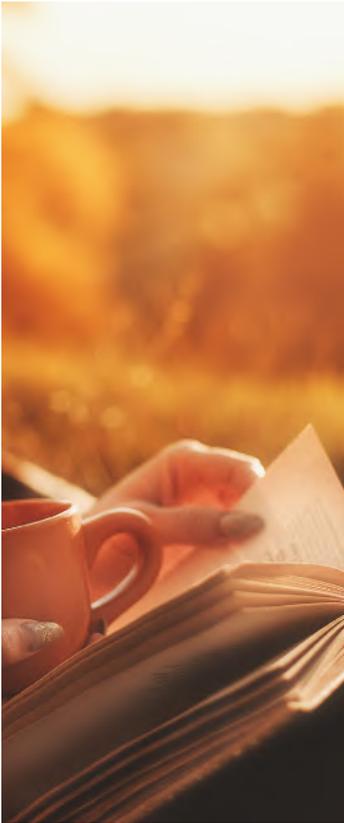
بالرغم من أن دعم الكاتب أكثر بريقاً لأنه يرضي الكتاب، إلا أنه أقل فائدة بكثير من دعم القارئ، وبالتالي فنحن كمن يزيد المعرض بلا طلب يذكر، أو كمن يعمل على سد الفراغ دون أن يسحب أحد شيئاً من هذا المخزون، وعليه فالمعادلة ليست عادلة وليست فعالة ولا تخدم الثقافة

بينهم، وخلق حجم طلب كبير على القصيدة، مما سمح للشعراء بالتنافس والبحث عن الجودة من أجل التمايز، وتبع هذا التميز مكاسب مادية ومعنوية، في حين تراجعت قصيدة الفصحى لأن جمهورها أقل، بحكم تضائل عدد القراء النوعيين

وواقع الحال فهناك أكثر من طريقة لدعم القراءة النوعية الجادة، كما يوجد أكثر من طرف مسؤول عن دعم القراءة في المملكة العربية السعودية ومختلف البلدان العربية، على أن الأمر ليس سهلاً أو أن مدته الزمنية قصيرة، بل هي خطة طويلة المدى، حتى نجني ثمارها وننشئ جيلاً قارئاً، وهذه بعض التلميحات التي قد تفيد المسؤولين عن مستقبل الثقافة سواء في وزارة الثقافة، أو وزارة التعليم، وغيرها من الجهات

في السياق فليس مبالغة إن قلنا بأن صناعة الأم والأب الواعين بأهمية القراءة أول لبنات صناعة الطفل القارئ، إذ فاقد الشيء لا يعطيه، ولكن حين يكونا قارئين أولديهما الوعي بأهمية القراءة الجادة والنوعية سيتكون في داخلهم وعي بأهمية مساهمتهم في صناعة طفلهم القارئ، وسيبذلان الجهد لمقاومة مشتتات القراءة، مع خلق بيئة أفضل للقراءة في المنزل

وغالبا ما يبدأ سن القراءة من السنوات الأولى، مع وجود مكتبة في المنزل، وقصص مصورة بين يديه باستمرار، ولذلك فإن إتاحة فرصة للقراءة هي بداية تصحيح مسار الطفل نحو القراءة، كما إن تطوير أدوات الطفل تجاه الورق والكتاب الإلكتروني خطوة تصحيحية أيضاً، ومن المؤكد فإن تلقي قصة جاهزة مصنوعة للطفل عبر التلفزيون، وسط ألوان مبهرة، وتقنية متطورة، يكون أكثر راحة في مقابل القراءة التي تبدو أكثر تعباً، لذلك فإن كسر منطقة الراحة للطفل في فترة ما قبل المدرسة سيكون هو المشروع



الكبير للوالدين بهدف خلق طفل قارئ، وخلق علاقة بين عيني الطفل والصورة، ويقيني فإن القصة المروية من الوالدين ليس إلا بداية للعلاقة مع القراءة

في هذا الإطار فإن عدم وجود مكتبة في المنزل يعني قطيعة تامة مع الكتاب، ولنا أن تتساءل: كم منزلاً لا توجد فيه مكتبة؟ بل كم منزلاً يوجد فيه مكتبة بالأساس؟ حري بالقول بأن وجود مكتبة في المنزل كوجود فاكهة على طاولة الطعام، ومثل جمال الفاكهة في تنوعها، كذلك المكتبة جمالها في تنوع محتواها، حيث تخلق الدهشة، وتخرج عن كونها مجرد مجلدات يتم تزيين المكان بها، وديكور يتسق مع ألوان المقاعد أو الجدار أو غيره

أشير إلى أن برامج القراءة ليست سهلة ويسيرة، فهي مكلفة من حيث التخطيط والجهد والتكلفة، كما تحتاج لوقت طويل تمتد من سنوات الطفولة حتى سنوات الرشد، بل وحتى الكهولة، ولذلك فيمكن القول بأن الخطأ في التخطيط قد يجعل الجهود تبعثر، ولذلك من المهم أن يتولى تخطيط برامج نشر القراءة ذوي خبرات عالمية، مع مراجعة تلك الخطط حال التنفيذ، وأثناء جني الثمار، كما تحتاج هذه البرامج لإنفاق ميزانيات معتمدة مرصودة لسنوات قادمة

“

حري بالقول بأن وجود مكتبة في المنزل كوجود فاكهة على طاولة الطعام، ومثل جمال الفاكهة في تنوعها، كذلك المكتبة جمالها في تنوع محتواها

ولتكتمل الآلية فيجب أن تتضافر جهود الوزارات المعنية سواء وزارة الثقافة أو التعليم، ناهيك عن قطاعات الأندية الشبابية وغيرها، حيث يقع على عاتق وزارة التعليم أن تضع حصصاً للقراءة يقودها فريق عمل متخصص يبدأ مسيرة القراءة مع الطفل منذ ابتداء تعليمه، مع اختيار معلمين أكفاء، واعتماد مقرر مشوق، واتباع أساليب ممتعة وسهلة لتعويد الطفل وتحيبته للقراءة، في ظل المشتتات الإلكترونية الكثيرة التي يعيشها

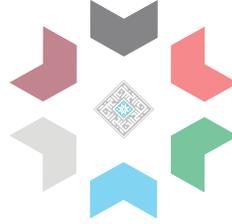
كذلك الأمر بالنسبة لوزارة الثقافة التي عليها أن تنتج برامج متخصصة تحفز النشء على المطالعة بشكل كثيف عبر مختلف الوسائل المتاحة، وبالاستعانة بالقطاع الخاص لتعميم دور المكتبات في مراكز الأحياء وتزويدها بما يجب لجذب انتباه النشء، مع إعداد كتب إلكترونية جذابة وغير ذلك من الآليات المفيدة

وحتما فيلعب الإعلام بمختلف أشكاله دورا مهماً في نشوء جيل قارئ من خلال تحسين سمعة القراءة، فلا زالت الدول النامية تنظر للقارئ بنظرة غير سوية وترى فيها صورة نمطية للغارق في الورق والكتب، المنفصل عن المجتمع، الغريب بصورته وهيئته حين يقرأ كتاب في الأماكن العامة، والمدان بلفظ الفلسفة والتفلسف لمجرد أن لديه مرجعية قرائية في الحديث والاستشهاد، وهو ما يظهر في المسلسلات المحلية والإقليمية، بعكس ما يحدث في الإعلام الغربي.

أخيراً، يمكننا القول بأن الأمر يحتاج إلى إعادة تهيئة، وبخاصة وأننا نرى برامج تستهدف دعم الكاتب والإصدار الأول، دون خلق أي برامج تستهدف دعم النشاط القرائي، وهذا يعني أننا نصنع كتاباً ولا نصنع له قارئاً، وهو واقع الخلل الكبير في منظومة هذه البرامج.



مركز الخليج للأبحاث المعرفة للجمعية



www.grc.net

Belgium

Brussels
Coming Soon

England

Gulf Research Center
Cambridge University of
Cambridge, Sidgwick
Avenue, Cambridge
CB3 9DA, UK
Tel: +760758-1223-44
Fax: +335110-1223-44

Geneva

Gulf Research Center
Foundation
Avenue, de France 23
1202 Geneva switzerland
Fax: +41227162730
Email: info@grc.net

جدة

30 شارع راية الإتحاد (19)
ص.ب 2134 جدة 21451
المملكة العربية السعودية
هاتف: +966-126511999
فاكس: +966-126531375
البريد الإلكتروني: info@grc.net

الرياض

مكتب FN11A، البرج الشمالي
مؤسسة الملك فهد الفرعي، العليا
هاتف: 2112567 ، +966-11-2031188
البريد الإلكتروني: info@grc.net